

## تحقيق

## لبنان يعيد آثاراً سورية مهربة

تسلّم، اليوم المديرية العامة للآثار اللبنانية، 18 قطعة فسيفساء كانت الجمارك اللبنانية قد ضبطتها قبل عام ونصف. تنفرد «الأخبار» بنشر القصة الكاملة لرحلة تهريب هذه القطع، والإجراءات التي اتخذت من أجل إعادتها، ما يضيء على حجم الغطاء والتواطؤ الفاضح في ملف تهريب الآثار السورية

## جوان فرسخ بجالي

الحرب الدائرة في سوريا تقتل المواطنين، تقضي على المؤسسات والاقتصاد، تدمر البلاد ومنشأتها، وتقضي أيضاً على تراثها وتاريخها وآثارها. لا ترف في الحديث عن هذا الموضوع. فتمير الآثار أو سرقتها والمتاجرة بها ليس إلا الوجه الآخر لعملة واحدة تهدف إلى قتل سوريا على كل الأصعدة. وهو أمر لا يحدث بشكل فوضوي، بعدما باتت عملية سرقة المواقع الأثرية ممنهجة، ويجد المتورطون فيها، من سارقين ومهزيين، ما يبزون به فعلتهم البشعة وغير القانونية. الحادثة الأخيرة التي تعيد

## لماذا تسرق الآثار؟



لم يتم الجزم إن كانت القطع أصلية بأكملها

هذه القضية إلى الضوء هي محاولة تهريب 18 قطعة فسيفساء كانت الجمارك اللبنانية قد ضبطتها قبل عام ونصف العام. وتسلّمها اليوم المديرية العامة للآثار اللبنانية إلى وفد من المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية. وفي التفاصيل التي حصلت عليها «الأخبار» أن عملية تهريب القطع جرت في شهر تشرين الأول - أكتوبر 2012. يومها عبر الحدود اللبنانية باص سوري يحمل رقماً من محافظة إدلب، وكان على متنه عدد ضئيل من الركاب. لا شيء مريباً للماز على الطريق. ولكن، ولغاية ما، أوقف حاجر طيار للجمارك اللبنانية الباص، وطلب من سائقه الترحّل وفتح غطاء الأمتعة في الجزء السفلي، فكانت المفاجأة: 18 قطعة فسيفساء ملفوفة ومكدسة بعضها فوق بعض. كانت قطع الفسيفساء موضّبة كما يوضّب السجاد في البيوت، وهذا هو الاسم الذي يطلقه عليها المهزيون: سجاد. ذلك لأنه حين يجري نزعها من الأرض، تغطي بقطعة من القماش عليها لاصق قوي يقطع الحجيرات الصغيرة الملتصقة بعضها ببعض منذ أكثر من 2000 سنة، ثم يبدأ بلف الفسيفساء مثلما يلف السجاد، وترفع عن الأرض، وحينما تقع الأحجار الصغيرة، يجري التقاطها لأنه حينما يعاد فتح الفسيفساء ترمّم بحجارتها الأصلية. وهذا ما حصل مع الفسيفساء المكتشفة، التي سلّمتها الجمارك إلى مكتب السرقات الدولية. وكشف علماء آثار من المديرية العامة للآثار اللبنانية على القطع وأكدوا للسلطات اللبنانية أنها أصلية، وسورية المصدر. وأتى تقرير المديرية ليشكل الفاصل في المحكمة التي مثل أمامها سائق الباص بتهمة التهريب، مع أن محاميه حاول مراراً تغيير الجنحة من تهريب إلى نقل مقتنيات شخصية حديثة الصنع، إلا أن المرافعات لم تنفع أمام تقرير عالمة الآثار، لور سلوم. هكذا صدر الحكم بإعادة القطع إلى سوريا،

صورة جوية لموقع افاميا سنة 2010



موقع افاميا سنة 2012 وقد تحول إلى «سطح القمر» بسبب السرقات



فحفظتها المديرية العامة للآثار في مخازنها، وبدأت المراسلات مع السلطات السورية التي بعثت فريقاً أول لمعاينة القطع والتأكد من أنها سورية المصدر. فتم اللقاء في حزيران في أحد مخازن المديرية، وحضر من الشام للمهمة المدير العام للتنقيب والدراسات الأثرية أحمد الطرقي، ومدير مخابر الترميم العلمية الدكتور كميث عبدالله وهو مختص في الفسيفساء، وكان معهم ماهر جباعي مرتم فسيفساء. عُرضت القطع أمام الفريقين، وكانت الوجوه تتلبد، وتتبدّل المعالم، كلما تم الكشف عن قطعة تلو الأخرى. في بداية اللقاء كان السوريون مستمعين، يصغون إلى زملائهم اللبنانيين، ولا يبدوون رأيهم بسرعة، ويستفسرون بأسئلة بسيطة. وكانت البداية مع قطع فسيفساء في حال من التدهور الكبير، فكانت القطع الحجرية الكبيرة نسبياً (مربعة الشكل من سنتيمتر واحد) تقع على الأرض، ما صعب على الحضور تحديد شكل الرسمة الأصلية في اللوحة. والأخيرة كانت قد قطعت إلى 11 قطعة صغيرة مربعة الشكل، بحيث وجب وصل هذه القطع بعضها ببعض لمعرفة صورة اللوحة كاملة. ثم بدأ فكّ الفسيفساء التي تصغر فيها القطع الحجرية، وبدأت تبرز الوجوه على اللوحات والكتابات بالأحرف اليونانية. تصوّر إحدى اللوحات مشاهد من ملحمة هوميروس

## لبنان هو من الدول المجاورة الوحيدة التي أبلغت سوريا عن قطع أثرية يجري تهريبها

Odyssée وقد كتبت أسماء الشخصيات المصورة باليونانية. وبقي التشويق سيّد الموقف حتى جرى فتح آخر قطعة وهي الأكبر حجماً 3,40\*2,10، والتي تتميز عن باقي القطع بدقة رهيبة في التصوير وباستعمال حجارة لا يتعدى حجمها 3 ملم. وكانت اللوحة تصوّر فصول السنة الأربعة بشكل وجوه على الزوايا، أما في الوسط فرسوم لشخصيات وللحياة اليومية، وبرزت في الإطار الخارجي لوحات للأبراج الفلكية المعروفة اليوم، ما شرحة مدير مخابر الترميم العلمية الدكتور كميث عبدالله بالقول إن «تصوير الأبراج بشكلها الحالي يعود إلى القرون الماضية، وكانت قد اكتشفت على قطع فسيفساء أخرى». وعن صحة هذه القطع، يؤكد أنه «لا يمكن الجزم إلا بعد دراسة طرق

قطع الحجارة في مختبرات ترميم المديرية في الشام». وأكد أن القطعة الأخيرة «متحفة من الطراز الأول. وتعدّ لوحة فنية قيمة من الناحية الفنية ومصدرها شمال سوريا».

وتجدر الإشارة إلى أن بعض القطع قد لا تكون أصلية بأكملها ولكن أضيفت إليها تفاصيل ووجوه، وذلك بهدف رفع سعر مبيعها في السوق، وهذا ما يشرح وضوح التفاصيل في هذه القطع من الفسيفساء، فتبدو كأن صف الحجارة كان على القماش، أي إنها غير منتزعة من الأرض.

وفي انتظار الإجراءات المخبرية في الشام للتحقق من أن القطع أصلية، يمكن التأكيد أن هذه أول عملية تبادل قطع أثرية سورية منذ اندلاع الأحداث في سوريا. ويشهد المدير العام للآثار والمتاحف في سوريا الدكتور مأمون عبد الكريم بأن «لبنان هو من الدول المجاورة الوحيدة التي أبلغتنا وتواصلت معنا بخصوص قطع أثرية تم تهريبها ومن ثم احتجازها. وهذه العلاقة الإيجابية تؤكد أن لبنان هو المهتم حقيقة بمكافحة تهريب الآثار السورية، ومشكورة له جهوده وصدقته».

من جهته، يؤكد الدكتور أسعد سيف أن «تبادل القطع جرى بين الإدارتين العلميتين في البلدين، اللتين تعنيان بالمحافظة على الآثار».

## السلح مقابل الآثار

يشرح المقدّم نقولا سعد، من مكتب السرقات الدولية، والمحقق في قضية الفسيفساء أن «عمليات تهريب الآثار السورية إلى لبنان هي واقع نتعامل معه منذ سنين، ولكنه في تزايد منذ اندلاع الحرب، ويوجد لدينا أكثر من 60 تقريراً عن سرقات وقعت في السنتين الأخيرتين، ويعدّ هذا العدد مرتفعاً لأنه دلالة واضحة على ضخامة التهريب. فالحرب الدائرة في الأراضي السورية تغرق البلاد أكثر فأكثر في دماء أهلها أولاً وفي كبح هائل من الدمار ثانياً. وحيث لا تطال القذائف تذهب المعاول. المواقع الأثرية، حتى تلك البعيدة المنال، لم تسلم من حمى الحرب الدائرة. هناك، لم يغرق تاريخ سوريا في الردم بل في التراب المحض بالقطع الأثرية. فالتلال الأثرية باتت أرضاً مباحة، وكل يجد في الحفر فيها غابته ومبتغاه. منهم من يبزر نبش الآثار ليلصقه بقضية، وآخر من يبزره لمحاربة العوز! مقاتلون من الجيش الحر أقروا في أكثر من تقرير صحافي بأنهم يجتثون قسماً من

أرخ الخبراء قطع الفسيفساء للفترة الرومانية واعتبروا ان نمطها الفني معروف في شمال سوريا

